

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ
الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا
تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: 278 - 279]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بَيَّنَّ فِي الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَنَّ مَنْ انْتَهَى عَنِ الرِّبَا فَلَهُ مَا سَلَفَ،
فَقَدْ كَانَ يَجُوزُ أَنْ يُظَنَّ أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْمَقْبُوضِ مِنْهُ وَالْبَاقِي فِي ذِمَّةِ
الْقَوْمِ، وَأَنَّ الْمَمْنُوعَ هُوَ إِنْشَاءُ عَقْدٍ رِبَوِيٍّ بَعْدَ التَّحْرِيمِ؛ لِذَا أزالَ تَعَالَى
هَذَا الْإِحْتِمَالَ، بِأَنْ أَمَرَ بِتَرْكِ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا فِي الْعُقُودِ السَّابِقَةِ،
قَبْلَ التَّحْرِيمِ^(١)، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾، كَمَا أَنَّ فِي
الْآيَةِ إِفْضَاءً إِلَى التَّشْرِيعِ، بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ أَمَامَهُ مِنَ الْمَوْعِظَةِ مَا هَيَّأَ
النَّفُوسَ إِلَيْهِ، وَلَمَّا كَانَ مِنْ حَقٍّ مِنْ عَانَدِ السَّيِّدِ الْأَخْذُ بِعُنَانِهِ إِذَا
تَمَرَّدَ وَأَبَى؛ سَبَبَ عَنْ ذَلِكَ^(٢) قَوْلَهُ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وَهُوَ خُطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُصْرِّينَ عَلَى مَعَامَلَةِ الرِّبَا، أَوْ
هُوَ خُطَابٌ مَعَ الْكُفَّارِ الْمُسْتَحْلِينَ لِلرِّبَا، الَّذِينَ قَالُوا ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ
الرِّبَا﴾، قَالَ الْقَاضِي: وَالْإِحْتِمَالُ الْأَوَّلُ أَوْلَى^(٣).

التَّوْبَةُ الصَّادِقَةُ
مِنَ الرِّبَا، تَوْبَةٌ
مِّمَّا فَاتَ، وَمِمَّا
هُوَ آتٍ

❖ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَذَرُوا﴾: اْتَرَكُوا، وَارْمُوا بِهِ، وَاقْذِفُوهُ، يُقَالُ: فُلَانٌ يَذَرُ
الشَّيْءَ، أَيُّ: يَقْذِفُهُ لِقَلَّةِ اعْتِدَادِهِ بِهِ، وَقَدْ أَمَاتِ الْعَرَبُ الْمَصْدَرَ مِنْ
(يَذَرُ) وَالْفِعْلَ الْمَاضِي مِنْ (يَذَرُ)، وَاسْتَعْمَلَتْهُ فِي الْحَاضِرِ وَالْأَمْرِ،

(1) الرَّازِي، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 7/82، وَأَبُو حَيَّانَ، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ: 2/711.

(2) الْيَقَاعِي، نَظْمُ الدَّرَرِ: 4/139.

(3) الرَّازِي، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 7/84.

وَأَصْلُ الْإِذْرَاءِ الْقَذْفُ، وَالْإِذْرَاءُ: ضَرْبُكَ الشَّيْءَ تَرْمِي بِهِ أَوْ تَصْرَعُهُ؛ وَمَعْنَى ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾: أَتْرَكُوهُ⁽¹⁾، "فِي إِشْعَارِهِ أَنَّ طَائِفَةً مِنْهُمْ لَا يَذَرُونَهُ بَعْدَ تَحْرِيمِهِ، بِمَا أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الَّذِينَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ".

(2) ﴿فَأَذِّنُوا﴾: أَيَّ: أَيْقِنُوا، وَعَلِّمُوا ذَلِكَ، وَاسْمَعُوهُ. أَذِنَ لَهُ أَذْنًا: اسْتَمَعَ، وَأَصْلُ الْأَذَانِ الْعِلْمُ، فَالْأَذْنُ وَالْأَذَانُ لِمَا يُسْمَعُ، وَيُعْبَرُ بِذَلِكَ عَنِ الْعِلْمِ؛ إِذْ هُوَ مَبْدَأُ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَالْمَعْنَى: عَلِّمُوا وَعَلِّمُوا غَيْرَكُمْ، أَنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يَتْرِكِ الرِّبَا فَهُوَ فِي حَرْبٍ⁽²⁾.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

دعوة المؤمنين
للتعامل
الحادل،
والاكْتفاء في
التوبة من الربا
برأس المال

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاتَّبِعُوا رَسُولَهُ، عَلَيْكُمْ بِخَوْفِ اللَّهِ، وَالْامْتِثَالِ الصَّارِمِ لِأَوَامِرِهِ، وَالاجْتِنَابِ الْفَوْرِيِّ لِنَوَاهِيهِ، وَاتْرَكُوا الْمُطَالَبَةَ بِمَا بَقِيَ لَكُمْ مِنَ الرِّبَا فِي ذِمَّةِ النَّاسِ، مِمَّا كَانَ لَكُمْ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ، إِنْ كُنْتُمْ مُحَقِّقِينَ لِلْإِيمَانِ قَوْلًا وَعَمَلًا، فَإِنْ لَمْ تَرْتَدِّعُوا عَمَّا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهُ فَاسْتَبَقْنَا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنْ رَجَعْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَتَرَكْتُمُ الرِّبَا فَلَكُمْ أَخَذُ مَا لَكُمْ مِنْ دِينٍ، دُونَ زِيَادَةٍ، لَا تَظْلِمُونَ أَحَدًا بِأَخْذِ مَا زَادَ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِكُمْ، وَلَا يَظْلِمُكُمْ أَحَدٌ بِنَقْصِ مَا أَقْرَضْتُمْ، لِأَنَّ الزِّيَادَةَ الَّتِي تَأْخُذُونَهَا ظُلْمٌ لِعِغْرِكُمْ، كَمَا أَنَّ تَرَكَ جُزْءٍ مِنْ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ ظُلْمٌ لَكُمْ⁽³⁾.

❁ الْإِيضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالْبَلَاغِيُّ:

سِرُّ النَّدَاءِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِأَمِّ أَدْوَاتِ النَّدَاءِ (يَا):

نادى الحقُّ المؤمنينَ بِاسْمِ الْإِيمَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ تَحْرِيصًا لَهُمْ عَلَى قَبُولِ حُكْمِ اللَّهِ بِتَرْكِ مَا بَقِيَ مِنْ

(1) الخليل، العين، باب الذال والراء و: (ويء): (وذر)، السمين، عُمدَةُ الحُفَاطِ، جبل، المُعْجَمُ الْإِشْتِقَاقِيُّ: (وذر).

(2) ابنُ سَيِّدِهِ، المُحْكَمُ: (الذال والنون والهمزة) مقلوبه (أذن)، الأزهرِي، تَهْذِيبُ اللَّعْطَةِ، الجَوْهَرِي، الصَّحَاح، ابْنُ فَارِس، مَقَابِيسُ اللَّعْطَةِ، وَالزَّاعِب، لِلْفَرْدَاثِ: (أذن).

(3) لَجْنَةُ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَزْهَرِ، التَّنْتِخِبُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ص: 66، وَنُحْبَةُ مِنْ أَسَاتِذَةِ التَّفْسِيرِ، التَّفْسِيرُ الْمُبَشِّرُ: ص: 47، وَجَمَاعَةٌ مِنْ عُلَمَاءِ التَّفْسِيرِ، الْمُتَخَصَّرُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ 47.

الرَّبَّاءِ⁽¹⁾، بأداة النداء (يا)، وهي أداة لنداء البعيد؛ لتنزيلهم منزلة الرِّفْعَةِ والمجد.

نَكَاتٌ تَقْدِيمُ الْأَمْرِ بِالتَّقْوَى عَلَى النَّهْيِ عَنِ الرِّبَا:

قُدِّمَ أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَى اللَّهِ قَبْلَ الْأَمْرِ بِتَرْكِ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا؛ لِنِكَاتِ عِدَّةٍ، وهي:

الْأَمْرُ بِالتَّقْوَى
يَقْتَضِي الْأَمْرَ
بِتَرْكِ الرِّبَا

الأولى: التقوى أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ، فتقديمه يكون كالتمهيد لما بعده.
الثانية: التقوى أَصْلُ الْأَمْتِنَالِ وَالْإِجْتِنَابِ، فترك الرِّبَا المطلوب شرعاً هو ما كان عن إيمانٍ وتقوى.

الثالثة: تَرَكَ الرِّبَا مِنْ جُمْلَةِ التَّقْوَى؛ فَهُوَ كَالأَمْرِ بِطَرِيقِ بُرْهَانِيٍّ⁽²⁾.
فَالَّذِينَ يَتَرَكُونَ مَا بَقِيَ مِنْ عُقُودٍ عَقَدُوهَا إِنَّمَا يُقَاوِمُونَ شُحَّ أَنْفُسِهِمْ وَرَغَبَاتِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ؛ فَهَذِهِ الْمُقَاوِمَةُ، وَذَلِكَ الْكُفُّ، فِعْلٌ نَفْسِيٌّ جَلِيلٌ، وَهُوَ عَيْنُ التَّقْوَى الَّتِي حَثَّهَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا، وَدَعَاهُمْ إِلَيْهَا⁽³⁾.

نَكْتَةُ خُطَابِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْإِيمَانِ وَاشْتِرَاطُهُ فِيهِمْ فِي فَاصِلَتِهَا:

هَذَا مِنْ بَابِ التَّهْيِيجِ وَحَثِ الْمَخَاطَبِينَ عَلَى تَرْكِ مَا بَقِيَ فِي ذِمَمِ الَّذِينَ عَامَلُوهُمْ بِالرِّبَا، وَأَنَّ تَرَكَ الرِّبَا بِالْكُلِّيَّةِ شَرْطُ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الرِّبَا وَالْإِيمَانَ لَا يَجْتَمِعَانِ، فَهُوَ شَرْطٌ مَجَازِيٌّ عَلَى جِهَةِ الْمُبَالَغَةِ، كَمَا تَقُولُ لِمَنْ تُرِيدُ إِقَامَةَ نَفْسِهِ: إِنَّ كُنْتُ رَجُلًا فَافْعَلْ كَذَا⁽⁴⁾، فَقَوْلُهُ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مَعْنَاهُ: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ حَقًّا، فَلَا يُنَافِي قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إِذْ مَعْنَاهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِيمَانِ⁽⁵⁾؛ فَفِيهِ إِيجَازٌ بِالْحَذْفِ؛ إِذِ التَّقْدِيرُ: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَامْتَثِلُوا أَوْامِرَ اللَّهِ وَنَوَاهِيَهُ، وَفِي هَذَا تَفْصِيرٌ شَدِيدٌ مِنَ التَّعَامُلِ بِالرِّبَا، وَوَعِيدٌ رَهيبٌ

حَثُّ الْمُؤْمِنِينَ
عَلَى الْإِيمَانِ
نَوْعٌ مِنْ تَرْبِيَةٍ
الْقُرْآنِ، وَإِيمَاءٌ
تَحْذِيرِيٌّ

(1) أَبُو حَتَّانٍ، الْبَحْرُ الْحَبِيطُ: 2/712.

(2) أَبُو حَتَّانٍ، الْبَحْرُ الْحَبِيطُ: 2/712، وَابْنُ عَشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 3/93.

(3) أَبُو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ، 2/1058.

(4) ابْنُ عَطِيَّةٍ، لِلْحَرَزِ الْوَجِيزُ: 1/374، وَأَبُو حَتَّانٍ، الْبَحْرُ الْحَبِيطُ: 2/712.

(5) ابْنُ عَشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 3/94.

لَمَنْ يُصِرُّ عَلَى التَّعَامُلِ بِهِ، فَاَلْمَعْنَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بِقُلُوبِكُمْ أَطِيعُوا رَبَّكُمْ؛ فَمَا يَدُلُّ عَلَى تَصَدِيقِ قُلُوبِكُمْ امْتِثَالُ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ⁽¹⁾.

وَلِخُطُورَةِ هَذَا الْمَوْقِفِ وَصُعُوبَتِهِ عَلَى النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ ذَكَرَهُمْ بِإِيمَانِهِمْ؛ إِذِ الْإِيمَانُ الصَّحِيحُ بِمَنْزِلَةِ الطَّاقَةِ الدَّافِعَةِ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فَإِنَّ إِيْمَانَكُمْ قُدْرَةٌ قَوِيَّةٌ تَحْمِلُكُمْ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ وَتَرْكِ مَا بَقِيَ مِنَ الرُّبَا عِنْدَ الْمَدِينِينَ لَكُمْ⁽²⁾؛ فَجِيءَ بِهَذَا التَّرْكِيبِ عَلَى صِفَةِ الْجِنَاسِ الْمُغَايِرِ بَيْنَ ﴿ءَامَنُوا﴾ وَ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ لِإِفَادَةِ هَذَا الْمَعْنَى.

وَقِيلَ: هُوَ شَرْطٌ يُرَادُّ بِهِ الْإِسْتِدَامَةُ، وَقِيلَ: يُرَادُّ بِهِ الْكَمَالُ، وَكَأَنَّ الْإِيمَانَ لَا يَتَكَامَلُ إِذَا أَصَرَ الْإِنْسَانُ عَلَى كَبِيرَةٍ، وَإِنَّمَا يَصِيرُ مُؤْمِنًا بِالْإِطْلَاقِ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ⁽³⁾.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(٧٩):

نَكْتَةُ تَسْمِيَةِ التَّرْكِ فِعْلًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا﴾:

حَقِيقَةُ الْإِمْتِنَالِ
تَكْمُنُ فِي فِعْلِ
الْأَمْرِ وَتَرْكِ
الْمَحْظُورِ

أَثَرُ النَّظْمِ تَسْمِيَةَ التَّرْكِ فِعْلًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا﴾ إِذْ مَعْنَاهُ: فَإِنْ لَّمْ تَتْرَكُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرُّبَا؛ لِأَنَّ الْمَطْلُوبَ هُوَ أَنْ يَكُونَ التَّرْكِ فِعْلًا وَاقِعًا وَمَتَحَقِّقًا، لَا مُجَرَّدَ تَرْكِ مُؤَقَّتٍ، وَدَلَالَةُ الْفِعْلِ أْبْلَغُ فِي إِرَادَةِ الْمَطْلُوبِ، وَإِذَا أَمَرُوا بِتَرْكِ مَا بَقِيَ مِنَ الرُّبَا لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرُ تَرْكُ إِشْءَاءِ الرُّبَا عَلَى طَرِيقِ الْأَوَّلَى وَالْآخَرَى⁽⁴⁾.

تَنْكِيزُ لَفْظِ ﴿بِحَرْبٍ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ﴾ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّهْدِيدِ:

نَكَّرَ لَفْظَ (حَرْبٍ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لِلتَّعْظِيمِ⁽⁵⁾ وَالتَّهْوِيلِ؛ فَهِيَ حَرْبٌ لَا يُحِيطُ بِهَا وَصْفٌ؛ لِأَنَّهَا مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالْإِذْنُ فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى الْعِلْمِ الْمُرَادِ مِنْهُ التَّحْذِيرُ، أَيْ: فَاعْلَمُوا وَقُوعَ حَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، بِقَصْدِ الْوَعِيدِ الْعَظِيمِ، وَالتَّهْدِيدِ الْبَالِغِ.

(1) القُونَوِيُّ، حَاشِيَةُ الْقُونَوِيِّ: 5/468.

(2) أَبُو بَكْرٍ الْجَزَائِرِيُّ، نِدَاءُ اثْنِ الرَّخْمَنِ: 28.

(3) أَبُو حَتَّىانَ، الْبَحْرُ الْحَبِيطُ: 2/712.

(4) أَبُو حَتَّىانَ، الْبَحْرُ الْحَبِيطُ: 2/713.

(5) الْبَيْضَاوِيُّ، أَنْوَاذُ التَّنْزِيلِ: 1/163، وَابْنُ عَاشُورَ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 3/94.

نُكْتَةُ الْعُدُولِ عَنِ الْإِضَافَةِ إِلَى اسْتِعْمَالِ حَرْفِ الْجَرِّ:

عَدَلَ النَّظْمُ عَنِ إِضَافَةِ الْحَرْبِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، حَيْثُ لَمْ يَقُلْ: (بَحَرْبِ اللَّهِ) وَرَسُولِهِ، لِنُكْتَةِ بَلَاغِيَّةِ بَدِيعَةٍ، فَحَرْفُ ﴿مِنْ﴾ لَا يَبْتَدَأُ الْغَايَةَ، وَفِي الْإِبْتِدَاءِ بِمَنْ تَهْوِيلٌ عَظِيمٌ، إِذِ الْحَرْبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَنْ نَبِيِّهِ ﷺ لَا يُطِيقُهُ أَحَدٌ⁽¹⁾، فَأَفَادَ أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْحَرْبِ عَظِيمٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ⁽²⁾، وَأَيْضًا أَفَادَ أَنَّ الْحَرْبَ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي يُحَارِبُهُمْ، وَلَوْ قِيلَ: بِحَرْبِ اللَّهِ؛ لَاحْتَمَلَ أَنَّ تَكُونَ الْحَرْبُ مُضَافَةً لِلْفَاعِلِ، فَيَكُونُ اللَّهُ هُوَ الْمُحَارِبُ لَهُمْ، وَاحْتَمَلَ أَنَّ تَكُونَ مُضَافَةً لِلْمَفْعُولِ، فَيَكُونُوا هُمُ الْمُحَارِبِينَ لِلَّهِ؛ فَكَوْنُ اللَّهِ تَعَالَى مُحَارِبَهُمْ أَبْلَغُ وَأَزْجَرُ فِي الْمَوْعِظَةِ مِنْ كَوْنِهِمْ مُحَارِبِينَ لِلَّهِ⁽³⁾.

تهويل شأن
الحرب على
المرابين، زيادةً في
التهديد

وَقَدْ دَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ أَكَلَ الرِّبَا وَالْعَمَلَ بِهِ مِنَ الْكِبَائِرِ، وَلَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ؛ فَتَكْثِيرُ الْحَرْبِ لِلتَّعْظِيمِ، وَزَادَهَا تَعْظِيمًا نَسَبْتُهَا إِلَى اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، وَإِلَى رَسُولِهِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ خَلْقَتِهِ⁽⁴⁾، قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: "تَصَفَّحْتُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ فَلَمْ أَرْ شَيْئًا أَشْرَّ مِنَ الرِّبَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آذَنَ فِيهِ بِالْحَرْبِ"⁽⁵⁾.

دَلَالَةُ فِعْلِ الْإِذْنِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ﴾:

يَذْكُرُ الْمُفَسِّرُونَ أَنَّ مَعْنَى فَأَذْنُوا فاعِلَ مَا أَنْتُمْ وَأَيَّقِنُوا⁽⁶⁾، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْمَشْهُورُ لِلْفِعْلِ؛ وَقِيلَ: مِنَ الْإِذْنِ، وَإِذَا أَذِنَ الْمَرْءُ فِي شَيْءٍ فَقَدْ قَرَّرَهُ وَبَنَى مَعَ نَفْسِهِ عَلَيْهِ، فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: فَتَقَرَّرُوا الْحَرْبَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَلْزَمُهُمْ مِنْ لَفْظِ الْآيَةِ أَنَّهُمْ مُسْتَدْعُونَ لِلْحَرْبِ

من دلائل عدل
الله إعلام
الخضم ما
سيكون عليه من
الشدة

(1) أَبُو حَتَّانَ، الْبُخَارِيُّ لِلْحَيْط: 2/715.

(2) الزَّمَخْشَرِيُّ، الْكَشَافُ: 1/322، وَالْهَرَبِيُّ، حُدَائِقُ الرُّوحِ: 4/120.

(3) أَبُو حَتَّانَ، الْبُخَارِيُّ لِلْحَيْط: 2/715، وَالسَّمِينُ، الذَّرُّ لِلصُّونَ: 2/642.

(4) الْقُتُوبِيُّ، فَتْحُ الْبَيَانِ: 2/143.

(5) الْفَرْطُوبِيُّ، الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ: 3/364.

(6) الْقُتُوبِيُّ، فَتْحُ الْبَيَانِ: 2/143.

باغون لها، إِذْ هُمْ الْآذِنُونَ بها والمتسببون فيها، لِنَعَاطِيَهُمُ الرَّبَّ وَعَدَمِ انْتِهَائِهِمْ عنه، وَيَنْدَرُجُ فِي هَذَا الْمَعْنَى عِلْمُهُمْ بِأَنَّهُمْ فِي حَرْبٍ وَتَيَقُّنُهُمْ لِذَلِكَ⁽¹⁾. وفي هذا المعنى مزيدٌ تهويلٍ وتعظيمٍ لشأنِ هذه الحربِ، وتخويفٍ من تعاطي الرَّبِّ والعملِ به.

دَلَالَةُ اسْتِعْمَالِ (إِنْ) دُونَ (إِذَا) فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾:

بناء القيم
الهدائية
بالأدوات
اللغوية منهاج
قرآني فريد

الخطابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرُسُولِهِ﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُصْرِّينَ عَلَى التَّعَامُلِ بِالرَّبِّ؛ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾ فَهُوَ خِطَابٌ مَعَ قَوْمٍ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

وَلِذَلِكَ عَدَلَ السِّيَاقُ عَنْ تَعْلِيلِ الشَّرْطِ بِ (إِذَا) إِلَى (إِنْ) لِلْحَثِّ عَلَى الْإِمْتِنَالِ فِي تَرْكِ التَّعَامُلِ بِالرَّبِّ، وَلَوْ قِيلَ: فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا؛ لَكَانَ تَأْكِيدًا عَلَى عَدَمِ امْتِنَالِ جَمِيعِ الْمُخَاطَبِينَ أَوْ أَكْثَرِهِمْ لِلْأَمْرِ بِتَرْكِ التَّعَامُلِ بِالرَّبِّ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى بِامْتِنَالِ الْمُخَاطَبِينَ لِأَمْرِهِ، وَكَذَلِكَ فِيهِ قِيَمَةٌ هِدَائِيَّةٌ بِإِعْلَامِهِمْ بِعِلْمِهِ أَنَّهُ سَيَمْتَنُونَ، مَعَ أَنَّ فِي التَّعْبِيرِ بِ "إِنْ" دَلَالَةً عَلَى احْتِمَالِ عَدَمِ امْتِنَالِ بَعْضِ الْمُخَاطَبِينَ لِلْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ.

بِلَاغَةُ الْقَابِلَةِ فِي جُمْلَةٍ: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ مَعَ السَّابِقَةِ:

بيان الوعد بعد
الوعيد طمأننة
للنفس وإذهاب
للأسى

صُدِّرَتِ الْجُمْلَةُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ بِفِعْلِ الشَّرْطِ ﴿تُبْتُمْ﴾؛ لِبَيَانِ الْوَعْدِ بَعْدَ ذِكْرِ الْوَعِيدِ قَبْلَهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَأْذَنُوا﴾، وَجِيءَ بِالْعَطْفِ مَعَ أَنَّ الْمُخَاطَبَ وَاحِدًا لِلتَّغَايُرِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ فِي الْخَبَرِيَّةِ وَالْإِنْشَاءِ، ثُمَّ جِيءَ بِالْجُمْلَةِ الْإِسْمِيَّةِ ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾ الْمُصَدَّرَةِ بِالْفَاءِ الْوَاقِعَةِ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ؛ وَفِي هَذَا إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ أَمْوَالَهُمْ مَعَ عَدَمِ التَّوْبَةِ حَلَالٌ لِمَنْ أَخَذَهَا مِنَ الْأَثَمَةِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَنْوِبُ عَنْهُمْ⁽²⁾؛ مَعَ الْإِثْمِ وَالْوَعِيدِ الْحَاصِلِ لَهُمْ بِسَبَبِ إِصْرَارِهِمْ عَلَى أَكْلِ الرِّبَا.

(1) ابن عطية، للحزر الوجيز: 1/375، وأبو حيان، البخر المحيط: 2/715.

(2) السُّوْكَاتِي، فُتُوحُ الْقَدِيرِ: 1/341، وَالْقُتُوبِي، فُتُوحُ الْبَيَانِ: 2/143.

بَدِيعُ الْجَنَاسِ التَّامِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾:

في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ جناسٌ تامٌّ، ومعنى الكلام: لا تُظْلِمُونَ الْغَرِيمَ بَطْلَبِ زِيَادَةٍ عَلَى رَأْسِ الْمَالِ، وَلَا تُظْلَمُونَ أَنْتُمْ بِنُقْصَانِ رَأْسِ الْمَالِ، وَقِيلَ: بِالْمُطْلِ⁽¹⁾، وفيه بيان كمال عدل الله مع عباده المفضي إلى رعاية مصالحهم العاجلة والآجلة.

❁ **الْفُرُوقُ الْمُعْجِمِيَّةُ:**

(يَذَرُ) وَ(يَدَعُ)⁽²⁾:

يَدَعُ: هُوَ أَنْ يَتْرَكَ الشَّيْءَ مَعَ الْإِهْتِمَامِ بِهِ وَالْحَرَصِ عَلَيْهِ، وَ (الْوَدِيعَةُ) عِنْدَ الشَّخْصِ الْمُؤْتَمَنِ حِرْصًا عَلَيْهَا؛ وَيَذَرُ: هِيَ أَنْ يَتَخَلَّى عَنِ الشَّيْءِ مَعَ إِهْمَالِهِ؛ لِعَدَمِ الْإِعْتِنَاءِ بِشَأْنِهِ، يُقَالُ: فَلَانٌ يَذَرُ الشَّيْءَ، أَيُّ: يَقْذِفُهُ لِقِلَّةِ اعْتِدَادِهِ بِهِ، وَمِنْهُ الْوَذَرَةُ: قِطْعَةٌ مِنَ اللَّحْمِ، وَتَسْمِيَّتُهَا بِذَلِكَ لِقِلَّةِ الْإِعْتِدَادِ بِهَا⁽³⁾.

الإِذْنُ وَالْعِلْمُ:

الإِذْنُ أَخْصَصُ مِنَ الْعِلْمِ، وَلَا يَكَادُ يُسْتَعْمَلُ الإِذْنُ إِلَّا فِيمَا فِيهِ مَشِئَةٌ بِهِ⁽⁴⁾، وَقَالَ ابْنُ الْكَمَالِ: "فَكُ الْحَجَرُ وَإِطْلَاقُ التَّصْرِيفِ، لِمَنْ كَانَ مَمْنُوعًا شَرْعًا، وَقَالَ الرَّاعِبُ: الإِذْنُ فِي الشَّيْءِ، الْإِعْلَامُ بِإِجَازَتِهِ وَالرَّخْصَةُ فِيهِ، وَيَعْبَرُ بِهِ عَنِ الْعِلْمِ، إِذْ هُوَ مَبْدَأُ كَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ فِينَا، لَكِنْ بَيْنَ الإِذْنِ وَالْعِلْمِ فَرْقٌ، فَإِنَّ الإِذْنَ أَخْصَصُ، وَلَا يَكَادُ يُسْتَعْمَلُ إِلَّا فِيمَا فِيهِ مَشِئَةٌ مَا، ضَامَهُ أَمْرٌ أَمْ لَا"⁽⁵⁾.

بَيَانُ كَمَالِ عَدْلِ
الهِ مَعَ عِبَادِهِ
الْمُفْضِي إِلَى رِعَايَةِ
مَصَالِحِهِمْ فِي
الدَّارَيْنِ

الْوَدِيعَةُ تَرْكُ
الشَّيْءِ مَعَ
الْإِهْتِمَامِ،
وَالْإِذْنُ تَرْكُهُ مَعَ
الْإِهْمَالِ.

(1) أَبُو حَيَّانَ، الْبُخَارِيُّ لَحِيظُ: 2/716.

(2) وَالْعَرَبُ لَمْ تَسْتَعْمَلِ الْمَاضِي مِنْ هَذَيْنِ الْفَعْلَيْنِ، فَوُردَ فِيهِمَا يَدَعُ وَيَذَرُ فِي الْمَضَارِعِ، وَدَعَا وَذَرُوا فِي الْأَمْرِ، قَالَ فِي: (الصَّبَاح) بِهَذَا: اعْلَمْ أَنَّ قَوْلَهُمْ، فِي عِلْمِ التَّصْرِيفِ، أَمَاتُوا مَا فِي: (يَدَعُ) وَ: (يَذَرُ) خَطَأً. وَجَعَلَهُ اسْتِعَارَةً مِنَ الْوَدِيعَةِ تَعَسَّفَ. (انْتَهَى)، وَكَذَا قَالَ فِي: (الْمُسْتَوْفَى): أَنَّهُ كُلُّهُ وَرَدَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ، وَلَا عِبْرَةَ بِكَلَامِ النَّحَاةِ فِيهِ، وَإِذَا جَاءَ نَهْرُ اللَّهِ بِطَلِ نَهْرِ مَعْقِلٍ. يَنْظُرُ الْقَاسِمِيُّ، مُحَاسِنُ التَّأْوِيلِ: 9/491، وَفِي اللِّسَانِ: "وَالنَّبِيُّ ﷺ أَفْصَحَ الْعَرَبِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ، قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ: وَإِنَّمَا يَحْمِلُ قَوْلَهُمْ عَلَى قَلَّةِ اسْتِعْمَالِهِ، فَهُوَ شَادٌّ فِي الْاسْتِعْمَالِ، صَحِيحٌ فِي الْقِيَاسِ، وَقَدْ جَاءَ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ "ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: 8/384.

(3) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ، بَابُ الذَّالِ وَالرَّاءِ وَ: (وَيْءٍ)، السَّمِينُ، غُمْدَةُ الْخَفَازِ، جَبَلٌ، الْمُعْجَمُ الْإِسْتِثْقَائِيُّ: (وَذَرُ).

(4) الرَّاعِبُ، الْمُفْرَدَاتُ: (أَذْن).

(5) (الناوِي، التَّوْقِيفُ عَلَى مَهْمَاتِ التَّعَارِيفِ، ص: 44.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن

الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغاني].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 4، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-55-2

يشتمل على إرجاعات ببلوغرافية.

مج. 4: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغاني، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-55-2

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»